الباب الأول

المخاطر التي تواجه الشباب المسلم وكيف نتوقاها؟

المخاطر التي تواجه
الشباب المسلم وكيف نتوقاها؟

ن بين الشباب المسلم:

يلاحظ أن ظاهرة تدين الشباب في العالم كله تثير التعليقات المتنوعة، فالبعض يرجعها إلى انغماس العصر في مادة طاغية، أصابت الأرواح والعقول بالاضطراب، وزادت من شقاء الإنسان بدل أن تيسر له أمره، فعمت الشكوى من حضارة العصر بواسطة أبنائها أنفسهم، منهم الكاتب الإنجليزي إدوارد بوند الذي يرى أن علوم العصر وتقنياته قد أمدتهم بقوة المارد، لكنها كذلك أمدتهم بأخلاق المارد وأهدافه، وهي أخلاق وأهداف تنطوي على خبث وشر وتدمير[1].

ربما ينطبق هذا التفسير على عودة الشباب في أوروبا كحركة رد فعل للظروف التي مرت بها القارة من حيث سلطان رجال الكنيسة على التفسيرات العلمية، وموجات التشكيك على أثر ظهور التقدم العلمي في عصر النهضة، إذ أن الابتعاد عن الدين كان عامًا شاملًا، ومتصلًا بعوامل جذرية مرت بالمجتمعات هناك، وبعد أن استعاضت الجماهير في شبه القارة الهندية إلا بتحريك العقيدة في النفوس، كما حقق المسلمون نتائج باهرة على أرض فلسطين في المعارك الأولى عام **1948**م الغربية عن الفراغ الديني بأيديولوجيات لا تفترق عن الأديان البدائية من حيث عبادة الذات، وإن تسترت تحت ستار القومية أو الاشتراكية – متمثلة في تأليه الدولة أو الحاكم[2]، عادت العاطفة الدينية تلح للظهور من جديد، لأن هذه العاطفة في الإنسان عامة تدل على وجود عنصر نبيل سماوي وإن تناسى الإنسان وتلهى

---

(1) من مقال للدكتور زكي نجيب محمود (حضارة تأكل نفسها) جريدة الأهرام **1974/3/1**م.

(2) د. أحمد صبحي: في فلسفة التاريخ ص**299** مؤسسة الثقافة الجامعية بالإسكندرية **1975**م.

عنه حينًا قانعًا بالدون من الحياة الجثمانية المتحطمة[3].

والحديث يتصل باختلاف التصور الديني في الغرب عنه في الشرق الإسلامي، فإذا كان هناك مجرد عاطفة تملأ فراغًا في النفس عند الشدائد والكروب، فإنها هنا لها جذورها في إقامة شئون الحياة بأكملها حتى وقت قريب كعقيدة وشريعة، ولكن هذا حديث آخر لا يتصل بموضوعنا إلا بقدر إظهار اختلاف البواعث لدى شبابنا عنه هناك، فالاتجاه للإسلام من جديد عندنا له شأن آخر، إذ كانت العقيدة عميقة في النفوس وظلت العامل المحرك طوال التاريخ حتى العصر الحديث، وآية ذلك أننا نرى العلاقة ثابتة فيما تحقق من أعمال باسم الدين، فنجحت حركات استقلالية لاستعادة الأصالة الإسلامية في بلادنا، مثل السنوسية في ليبيا، والمهدية في السودان، وحركة الإمام عبدالحميد بن باديس في الجزائر، ولم تظهر الباكستان كدولة إسلامية عندما كانت الطلائع المجاهدة من شباب المسلمين تعمل تحت راية الجهاد، مما دفع أحد القادة الإسرائيليين إلى الامتناع عن مهاجمة صور باهر – قرية قريبة من القدس – لأن فيها قوة كبيرة من المتطوعين المسلمين، ووصفهم بأنهم يختلفون تمامًا عن المقاتلين النظاميين، فالقتال عندهم ليس وظيفة يمارسونها وفق الأوامر الصادرة إليهم، بل يندفعون للقتال حبًّا في الموت، ويتحولون إلى قوة ماردة تتحدى كل شيء معقول!![4]

فلا نعجب بعد هذا إذا رأينا أعداء الإسلام يغيرون أساليبهم عندما قوبلوا بعقيدة الإسلام كعقبة كؤود، فالتفوا حولها وأغرقوا بلاد المسلمين بالنظريات والفلسفات، وأثاروا النعرات القومية والوطنية، وحركوا عملاءهم وألبسوهم ثياب الزعامة، وبدأوا بالخطوة الكبرى وهي القضاء على الخلافة الإسلامية،

---

(3) د. دراز: الدين ص**100**.

(4) جلال العالم: دمروا الإسلام أبيدوا أهله ص**59** .

ثم قطعوا أوصالها إربًا إربًا فسهل عليهم احتلال البلاد بعد تجزئتها، وفعلًا مضت الحملات بمؤامراتها الظاهرة والخفية إلى غاياتها، فاحتلت إنجلترا مصر والسودان والهند، واحتلت فرنسا أرض الشام وتونس والجزائر ومراكش، واستولت إيطاليا على ليبيا والحبشة، وافترست روسيا المسلمين بعد الثورة الماركسية ونكلت بهم وشردتهم ومزقتهم كل ممزق بعد أن خدعتهم في البداية لتضمن تأييدهم فكان جزاؤهم جزاء سنمار[5].

ونجح هذا المخطط المحبوك، المرسوم بعناية في أروقة وزارات الاستعمار وفقًا لمصالح الغرب الظافر فدخل بلاد الإسلام بقصد الكسب وتولي الشئون مباشرة، ثم استطاع بواسطة المؤامرات المختبئة في سراديب الجمعيات السرية – لاسيما الماسونية – استطاع أن يلحق النكبات والكوارث، ولكن عجز على حد قول هانوتو وزير خارجية فرنسا، أن يثبط من عزائمهم.

ولمثل هذه العبارة، وغيرها على ألسنة رجال الاستعمار الغربي وساسته، مغزى يلفت النظر، فإن صمود الأمة بالرغم من الكوارث والنكبات التي حلت بها – لاسيما في القرن الأخير – دليل ما بعده دليل، على أن مقومات كيانها العقدي ثابتة، وأن بوسعها النهوض بعد الكبوة التي طالت لتأخذ بزمام الأمور من جديد، فما زالت الأمة الإسلامية مدعوة لقيادة العالم كله بعد أن اضطرب وتخبط عندما قطع صلته بالله سبحانه وتعالى: قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[6].

فبالرغم من كل ما أصيب به المسلمون من علة وضعف فإنهم (هم الأمة

---

(5) أوجين يونغ: الإسلام وآسيا أمام المطامع الأوربية ص**156** مطبعة النهضة بمصر **1928**م. وهو تتمة كتاب (استعباد الإسلام) وعنوانه غني عن التعليق .

(6) [آل عمران:**110**].

الوحيدة على وجه الأرض التي تعد خصيم الأمم الغربية وغريمتها ومنافستها في قيادة الأمم.. وأن تقودها إلى الفضيلة والتقوى، وإلى السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة)[7].

فالمسلمون على علاتهم موئل الإنسانية وأمة المستقبل.

:

للمشاكل والصعوبات التي يواجهها الشباب المعاصر جذوره ممتدة منذ سنين طويلة، ولكن ما العلاقة بين هذه المشاكل وظاهرة التدين؟

ل السابق. إننا نرى أن هذا الجيل قد تعَرَّض لأنواع من المصاعب أشد وأقسى من الجيل السابق، فقد واجه نوعًا جديدًا من الاستعمار، فبعد حصول بلاده على الاستقلال وتمتعها بالحرية الظاهرة في إدارة دفة أمورها، ظهر لون آخر من الاستعمار هو الاستعمار الاستيطاني الذي يضرب جذوره في باطن الأرض، فينشئ دولة معترف بها دوليًا بالباطل، ويغلف وجوده بعقيدة، ويقوى شوكتها بدولتين كبيرتين حتى لم تعد تجاهر بما جاهر به المستعمرون من قبل بأنهم جاءوا بصفة مؤقتة ليعودوا أدراجهم، ولكنها أقنعت العالم بأنها جاءت هنا لتبقى مستقرة على حساب سكان الأرض الأصليين الذين اجتثتهم من جذورهم ورمتهم من وراء أسوار منازلهم وقراهم ومدنهم ليتحولوا إلى شعب من اللاجئين.

وجاءت الطامة الكبرى عقب حرب الأيام الستة، فأخذ الألم يعصر قلوب المسلمين بعامة وشبابهم بخاصة لأن المسجد الأقصى أصبح أسيرًا في أيدي اليهود، وظهر مصطلح الأمر الواقع تعبيرًا عن غلبة القوة على الحق فتغيرت المعايير وتبدلت الموازين:

---

(7) أبو الحسن الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص**264** دار الكتاب العربي – بيروت **1387**هـ - **1967**م .

ا: كيف يهزم المسلمون بواسطة قلة من اليهود؟ أو بعبارة أصرح كيف يهزم الباطل الحق؟ والتبس الأمر على الكثيرين!!

وأخذ الشباب المسلم ينظر إلى ما حوله متألمًا، مستفسرًا، إذ رأى أن الجلاء عن الأرض أصبح سرابًا، لأنه ترك استعمار أشد وأدهى، ثم رأى أن اعتناق الفلسفات والمذاهب الواردة والأخذ بها في مجالات التعليم وأنظمة الاقتصاد والسياسة وغيرها لم تؤد إلى التقدم المطلوب بل على العكس أدت إلى المزيد من التقهقر لأن عملية النقل لم تفرق بين الغث والثمين، بل قلدت كل ما هو سيء وأهملت الأسلوب الكفيل بملاحقة التقدم الحضاري في شطره المادي، واستيعاب محاسنه دون مساوئه. (إذ لم يفرق المقلدون بين الحضارة الصناعية والحضارة الأخلاقية، ولم يميزوا بين ما يلائم وما لا يلائم. فقاسوا الأخلاق والآداب وسنن الجماعات وروابط الأسر والعقائد والمذاهب على السيارات والطائرات والغواصات والمدمرات، وفتنوا بالمسرح والسينما)[8].

وكما يفيق المغمى عليه ويعود إلى نفسه، كذلك أخذت الطلائع الشابة الواعية ترقب فشل الأنظمة المستوردة من الشرق أو الغرب التي أدى تطبيقها إلى المزيد من الفشل والهوان، وأدركت أن هذا الفشل يرجع إلى بعد الأمة عن طريقها، وانقطاع صلتها بالعقيدة والتراث، وأخذ صوت الإسلام يدوي بين الصفوف. لِمَ الاستغراب إذن من عودة ظهور التدين بين شباب الإسلام؟

إن العقيدة لم تختف أصلًا بل ظلت باقية، كل ما هنالك أنها اختفت وراء ستر رقيق، ذلك أنه ينبغي التمييز بين العوامل الجوهرية للنهوض بالأمم

(8) أنور الجندي: يقظة الفكر العربي ص**234**، حركة اليقظة في مواجهة التغريب (مرحلة ما بين الحربين) مطبعة زهران **1972**م.

واندثارها وبين مظاهر التدهور والضعف التي تنتابها بين حين وآخر كعوارض مرضية تظهر لتختفي.

ههها:

وعلى الداعية الإمساك بهذه الظاهرة – ظاهرة تدين الشباب واستمساكه بالإسلام – وجعلها باعثًا لتحقيق الآمال في النفوس، فما الشباب إلا تجسيد لآمال المستقبل وتعبيرًا عن استعادة الأمة لحيويتها بسواعد أبنائها.

على أن الطريق لن يكون مفروشًا بالورد، فما ظهور الشباب المتدين إلا بمثابة مولود جديد خرج إلى الحياة بعد آلام المخاض التي عانت منها الأمة الإسلامية ما عانت، فإذا لم يحظ بالعناية الكافية، ربما حدثت ردة لا يعلم إلا الله مدى آثارها.

والآن وقد استدرجنا إلى فتنة القوميات والعصبيات الإقليمية ثم الأيديولوجيات المعاصرة على الدعاة تعميق الوعي والتسلح بمعرفة أساليب الأعداء في الغزو لإمكان الدفاع عن النفس ومواجهة الأمواج العاتية التي تريد اكتساح العالم الإسلامي بأسره واقتلاع جذور عقيدته.

وعلى الدعاة استثارة القيم الكامنة في القلوب فمهما ظهر على السطح من صور الباطل ودعاته فإن عقيدة الإسلام كامنة، وعمل الدعاة ومهارتهم تظهر في تحويلها إلى عامل فعال فقد حركت هذه القيم المسلمين وجعلتهم جنودًا دائمين للمحافظة عليها (وهي التي كانت تجمعهم كلما فرقهم المفرقون، أو تعيد الضالين إلى الإيمان كلما ضللهم المضللون، وهي التي كانت تناديهم ليكونوا دائمًا متأهبين حذرين)[9].

ولا يتصور ونحن في معركة قد تكون هي الفاصلة بين بقائنا كأمة إسلامية وبين كيان غريب يمثل قمة التحدي الصهيوني والصليبي.

---

(9) د. صلاح الدين المنجد: رسائل إلى شاب متشكك ص**95** . دار الكتاب الجديد – **1971**م .

ل: لا يتصور أن يغفل الدعاة عن واجبهم في هذه الظروف والعناية بإيقاظ العقيدة في نفوس شباب المسلمين لأننا نواجه التحدي باسم الدين أيضًا في إحدى صورتين:

، وعلى سبيل المثال، نقتبس نموذجًا من أقوال بن جوريون، قال: (على إسرائيل أن تتمسك بمبادئ أنبياء العبرانيين القدامى)، (إسرائيل ستحقق وجودها عندما تصبح كسارية على رأس جبل، بالنسبة إلى أمم العالم) ناقلًا هذا القول عن نبيه المضل أشعيا[10].

وبنفس الحماس الديني، مازالت القوى الصليبية تشهر سلاحها في وجه المسلمين في إفريقيا والفلبين وإريتريا وغيرها.

ات) وهي في حقيقتها وجوهرها أديان بغير اسم الأديان (وهي النظم التي يؤمن بها الناس كدين ورسالة، السياسة والنظريات الاقتصادية مثل الوطنية والديمقراطية والاشتراكية والدكتاتورية والشيوعية وهي أقل مسامحة لمن لا يدين بها وأشد قسوة على منافسيها)[11].

وآية ذلك أن أصحاب الأيديولوجيات يضعون نظرياتهم في قوالب تضاهي العقيدة الدينية تمامًا فإنها تتسم بطابع الاعتقاد الإيماني إلى حد اعتبار المعتنق للأيديولوجية بمثلها المقاتل والمدافع عن حقيقتها المطلقة[12] وبكلمة واحدة أنها عقيدة، إذ يصفها أصحابها بصفات الرسالات السماوية ويضعون لها ركائز تتمثل في إرادة التغيير والتوجه للبشر بالخطاب ومن ثم تتطلب الاتباع، كما تدعى تقديم التفسير الشامل للعالم وتطالب أتباعها بالعمل في سبيل حمايتها ورفع راية الكفاح ضد مخالفيها.

---

(10) أبوالحسن الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص**269**.

(11) ياكوب باريون: ما هي الأيديولوجية؟ ص**98** الدار العلمية **91**هـ/**71**م ص**79**.

(12) محمد جلال كشك: النكسة والغزو الفكري ص**127** .

فالأيديولوجية تريد تغيير العالم عن طريق الناس الذين يعتقدون بها وتحتاج إلى مادة بشرية قابلة لمخاطبتها لتوقظ في نفوسهم تلك الطاقات الإيمانية والإرادية التي تحتاجها لبلوغ أهدافها أي اجتماع العقيدة والعمل والهدف معا.

ويدعى أصحاب الأيديولوجية أنهم أصحاب النظرة الشاملة للعالم التي تقدم تفسيرًا شاملًا وجامعًا للعالم، فهي في نظرهم موقف تقييمي من العالم ثم تتحول إلى مقياس الحياة الإنسانية، وتطالب في الوقت نفسه بسريان مفعولها على جميع الناس وكل مجالات حياتهم، والتدخل حتى في التفسيرات العلمية!![13].

كذلك لا تفلت الفلسفة من الاتهام، شأنها في ذلك شأن العلم، لأنها لا تشارك في الإيمان بقابلية العالم الكلية للمعرفة، وأنها تبدي موقفًا أساسيًا يختلف عن موقف كلي من الأيديولوجية والنظرة الشاملة إلى العالم.

وهذه النظرة الشاملة كما تتطلب الاتباع فإنها تنطوي على مطلب ثان بالنسبة لها، وهو الكفاح ضد أعدائها لأنهم في رأيها يحولون دون انتشار الحقيقة وانتصارها بين الناس أجمعين.

إلى هنا يتبين لنا أن الأيديولوجية تضع قوالب دينية وتكاد تقلد الإسلام بصفة خاصة، ولكنها لأنها تصدر عن باطل، فهي تفضح نفسها عندما ترسم طريق دعوتها فلا بأس من تشويه الحقيقة أو تلفيقها متى كان الأمر متعلقًا بوصم نظرة العدو ودفع تصرفاته العملية كما أنهم يغذون خيال أتباعهم بالتصورات الوهمية، عندما يقومون بوصف عالمهم الخاص، لكنهم يقدمون التضحيات ويتحملون الآلام بغية الوصول إلى الهدف المنشود[14].

---

(13) ن.م ص **76**، **77**، **79**، **82**، **105** .

(14) ن.م ص**94** .

ل من كل هذا: أن كل أصحاب الأيديولوجيات يترسمون خطانا، فإننا أولى بإظهار الإسلام كعقيدة، ونظام حياة وتفسير للكون والحياة والإنسان بطريقة تجعلنا في موقف التحدي.

نوعيات المشاكل التي تواجه الشباب في العالم الإسلامي وآثارها على الدعوة

بالرغم من افتقادنا للإحصائيات المبنية على الاستفتاء والبحوث الحقلية الاجتماعية والدراسات اللازمة لتصنيف الشباب والمشاكل التي تواجهه، بالرغم من ذلك النقص في وسائل الدراسة، فإننا سنحاول استبدالها بالتقسيم الجغرافي والظروف التاريخية الواحدة التي مرت بها بلدان العالم الإسلامي، فضلًا عن طبيعة المشاكل العامة التي تواجهه، مع الإقرار بأن لكل بلد لون خاص من المشاكل، إلى جانب التقسيم الأفقي للشباب داخل البلد الواحد.

ث، ومنذ القضاء على الخلافة العثمانية بتدبير اليهود والقوى الصليبية معًا، فأخذوا يقسمون البلاد الإسلامية فيما بين الدول الاستعمارية بموجب اتفاقيات ومعاهدات. ثم نفذت خطة واحدة لإبعاد المسلمين عن الإسلام.

بدأت على يد مصطفى كمال أتاتورك – المنتمي لحركة الاتحاد والترقي[15] - وكان هدفه اجتثاث الإسلام من جذوره، إذ ألغى الخلافة وأعلن أن الدولة أصبحت لا دينية، وفرض الكتابة بالحروف اللاتينية وألغى التعليم الديني وأوجب الأذان باللغة التركية وقراءة القرآن بالتركية أيضًا، وحرم تدريس الدين بالمدارس وأطلق على الإسلام الكتاب يهاجمونه ويهاجمون القرآن، وأبطل تحكيم الشريعة الإسلامية واستبدل بها القوانين الوضعية الأجنبية.

وأصبحت حركة التجديد والتغريب التي قادها كمال أتاتورك (1924-

(15) حركة الاتحاد والترقي باتفاق جميع المراجع المعاصرة حركة وجهها واستغلتها الماسونية والصهيونية وأعداء الدولة العثمانية من الإنجليز والفرنسيين والروس والألمان.
ينظر محمد جلال كشك: حوار في أنقرة ص57 .
أرمسترونج: مصطفى كمال أتاتورك وجواد رفعت: أسرار الماسونية.

1938) فاتحة للتغيرات التي حدثت في العالم الإسلامي كله، فأصبح كل من ينهض فيها للإصلاح والتشكيل الجديد للمجتمع يقتفي آثاره ظنًّا بأن سر النهضة إنما هو التجديد والتغريب، ليس غير، ونظروا إلى كمال أتاتورك كرمز التقدم و(الثورة) في كل مجتمع متحرر في العالم الإسلامي والمثل الأعلى للقادة والسياسيين والمفكرين المسلمين[16].

وسار تيار التجديد – سواء من غرب أوربا أم شرقها – يمضي قدمًا ليحفر الأخاديد في بلدان العالم الإسلامي على يد أبنائه أنفسهم!! أولئك الذين سلبهم الاستعمار الثقافي كل مقومات العزة سلبهم (الثقة بأنفسهم، بحضارتهم، بتراثهم، بنبيهم، بقرآنهم، بربهم عز وجل، وغرس في مكان ذلك كله بالغرب وحضارته وثقافته وأفكاره ونظمه وتقاليده ومثله وقيمه، وكل ما يجيء من عنده)[17].

وفتح جيل الشباب المسلم عينيه على هذا الواقع المرير الذي قدم إليه منذ

---

(16) ينظر كتاب أبو الحسن الندوي: الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية – دار الندوة للتوزيع – لبنان **1388**هـ - **1968**م .

حيث عالج تأثير خطوات أتاتورك في البلاد الأخرى مثل مصر والباكستان وإيران وإندونيسيا وتونس والجزائر.

ويتبين من إحصائية حجاج بيت الله الحرام هذا العام **1396**هـ . إن عدد حجاج تركيا بلغ **137291** حاجًا ويمثل أكبر عدد وبفارق كبير بينه وبين العدد الذي يليه ويمثله حجاج نيجيريا ويبلغ **66873** حاجًا.

ويمكن للداعية اتخاذ تركيا كنموذج لمزية الإسلام في صموده وقوته، إذ بعد نحو نصف قرن من الزمان حيث عانت فيه تركيا ما عانت بسبب إبعادها القسري عن الإسلام، ظهرت الحقيقة تتمثل في استمساك الشعب بعقيدته بالرغم من كل ما حدث، وبزغ فجر جديد في شكل حزب السلامة وعمره **4** أعوام الذي احتل المركز الثالث بين أحزاب تركيا (بعد حزب البعث الجمهوري وعمره **53** عامًا).

(17) د. يوسف القرضاوي: حتمية الحل الإسلامي ص**355** . مؤسسة الرسالة **1394**هـ/**1974**م.

نعومة أظفاره، بينما نشأ على الجهل بالإسلام لأنه لا يعرف في كثير من الأحوال – أو أقصاها – إلا بعض العبادات كالصلاة والصوم، والأفكار الدائرة حول تاريخه ورسوله ﷺ، عرفها على دفعات بمنهج التجزئة في المدارس أو الجامعات، أو التقطها من فم عالم أو سمعها من محاضر.

ولذلك نرى أن الشباب في العالم الإسلامي يخضع لعوامل متشابهة من حيث استهدافه خارجيًّا للحملات المتواصلة لتفريغ عقله وقلبه من المضمون الإسلامي وحشوه بألوان أخرى من المذاهب والأفكار، داخليًّا من حيث معيشته في مجتمعات لا تحيا وفقًا لتشريع الإسلام ونظمه وأخلاقياته.

والحق أننا لجأنا إلى هذا التحليل بحثًا عن جذور المشاكل ونشأتها، أما علاجها فيتم في محيط الحياة والواقع، إذ أن الداعية عندما يقوم بمهمته سيجد أمامه آثار هذه الظروف بأنواعها الخارجية والداخلية مجسدة في نفوس الشباب، أي ستصبح أخيرًا بمثابة وجهين لعملة واحدة.

:

- فئة من الشباب الحريص على الاستمساك بالإسلام ويحتاج إلى تعميق مفاهيمه للصمود في وجه الغزو الثقافي الخارجي بخططه وأساليبه المتجددة الماكرة.

- كما يحتاج أيضًا إلى تزويده بالمعلومات التي تتيح له فهم ظروف ضعف بلاده وتأخرها والسبل الكفيلة بإخراجها من محنها.

- كل ذلك ضروري لشد أزره حتى لا تميل به هواجس القلق عندما يقارن بين مثل عليا يريد تحقيقها وواقع مؤلم يعيش فيه.

- وفي الطرف المقابل تقبع فئة من الشباب الذي اضطربت موازين فكره وألحت عليه الشكوك وهو في الغالب ممن تلقى دراساته العليا خارج وطنه، إذ يلاحظ ما أحرزته بعض الأمم من تقدم في العلم والاختراع والتكنولوجيا، وما حققته من بسطة في القوة والسلطان برغم عدم عنايتها بالدين، وتوجيهها

الشباب توجيهًا ماديًّا خالصًا[18] ويقدم لنا ماسينيون خطة الغرب إزاء شبابنا في كلمة موجزة قال فيها (إن الطلاب الشرقيين الذين يأتون إلى فرنسا يجب أن يلونوا بالمدنية المسيحية)[19].

وبين هاتين الفئتين يكثر عدد شبابنا الذي يأخذ الإسلام بالتبعية للوالدين وتقليدًا لما يراه في المجتمع، فيعتنق الإسلام دينًا ولكنه لا يعرف فرائضه وواجباته ولا يؤديها كما ينبغي.

- ويجب أن نأخذ في الحسبان أيضًا شباب المسلمين الذي يعيش كالأسير في مجتمعات غير إسلامية، والبعض منهم يرفع راية الجهاد، كالشباب في فلسطين وإريتريا والفلبين ومناطق أخرى في الاتحاد السوفيتي وغيره من البلدان، وهم لا يطالبون إلا بحق الحياة الكريمة شأنهم في ذلك شأن باقي المواطنين.

- ونقترح إنشاء (مركز دائم يعني بالأقليات المسلمة) مع مد يد العون المادي لهم وإرسال الدعاة لتعليمهم الإسلام واللغة العربية وإرشادهم إلى أمور دينهم للمحافظة عليهم من الانقراض أو الضياع وسط المجتمعات التي يعيشون فيها، أما المسلمون تحت سيطرة الدول الشيوعية فلا أقل من توجيه إذاعات خاصة لهم تعلمهم دينهم وتشد أزرهم مادام الاتصال بهم متعذرًا، ولكن لا تعدم الحكومات وسائل الضغط الاقتصادي والسياسي لتوفير الحرية الدينية لهم[20].

---

(18) أنور الجندي: يقظة الفكر العربي – حركة اليقظة في مواجهة التغريب (مرحلة ما بين الحربين) مطبعة زهران – مصر **1972**.

(19) كما ورد في التقرير الذي قدمه الدكتور محمد خلف الله أحمد إلى مؤتمر علماء المسلمين – مارس **1970** – مجلة الهلال فبراير **1973**م ص**127** .

(20) ينظر كتاب الأستاذ محمود شاكر: المسلمون تحت السيطرة الشيوعية. مؤسسة الرسالة بيروت **95**هـ/**75**م.

ل المثال) نشرت مجلة الدعوة بالرياض في عددها رقم 553 الصادر في جمادى الثاني 1396هـ. استغاثة مسلمي بلغاريا على لسان اتحاد الطلبة المسلمين في شرق أوروبا، للمطالبة بتكوين لجنة دولية للنظر فيما يجري من امتهان لحقوق الإنسان هناك (ص34، 35).

■ **الشابات:**

وربما كان أزمات المرأة في البلاد الإسلامية أشد وأعتى، ونظرًا لدورها الكبير في تربية الأجيال، فقد نفذت الخطط التبشيرية عن طريق المدارس والإرساليات الأجنبية فاهتمت بالفتاة المسلمة تعليمًا وتوجيهًا، ثم اجتذابًا بواسطة أجهزة النشر والإعلام لتقليد شابات الغرب في الأفكار والعادات والأزياء، تحت دعوى التحرر وقضية المساواة بين الرجل والمرأة.

وظهر التشتت في نفسية الشابة المسلمة الحريصة على دينها بين عقيدتها وظروف الحياة الطارئة على مجتمعاتنا في الاختلاط ومغادرة المنزل للمشاركة في العمل والتوزع بين مشاغل بيتها وواجبات الأمومة للمتزوجات – وبين مشاكل العمل ومسئولياته، فضلًا عن حيرتها في مواجهة تيار التغريب القوي الذي سحب شابات كثيرات بمده الطاغي.

ولا أظن أنه يمكن إضافة للأبحاث المستفيضة التي ساهم فيها جهابذة الرعيل الأول في الفكر الإسلامي المعاصر من حيث الشبهات حول قضية المرأة[21].

وبقى على المهتمين بالدعوة مساعدة أخواتنا للقيام في وجه الفتنة، عن طريق تنظيم أنفسهن، وتشجيعهن على الاستمساك بالفضيلة والحشمة والصلاح والتقوى، ومساندتهن – بواسطة دورات تعليمية إسلامية خاصة لهن

---

(21) أمثال الأساتذة المودودي - العقاد – سيد ومحمد قطب، أنور الجندي وغيرهم .

– على تكييف حياتهن الشخصية والعائلية والاجتماعية وفق تعاليم الإسلام، ومدهن بالثقافة اللازمة التي تمكنهن من مقارعة السيدات المتفرنجات[22].

وليس هذا التقسيم جامعًا مانعًا بطبيعة الحال ولكنه مجرد اجتهاد حاولنا به تحديد المشاكل وتبويبها إذ لاشك في تداخل حلقاته، ولكنه يساعد الداعية على وضع يده على جذور المشاكل ومعرفة طبيعتها.

ل المثال، فإن هناك تقسيم رأسي بين الشباب على أساس أنصبته من العلم والثقافة فهناك من حصل على نصيبه في التعليم حتى نهاية المرحلة الجامعية، أو من اكتفى – كرهًا أو طواعية – بالتعليم الإعدادي أو الثانوي ثم سلك سبيل الحياة العملية باحثًا عن قوته وإعالة أسرته.

بيد أن هذا التصنيف يساعدنا على معرفة طبيعة المشاكل التي يعاني منها الشباب، فقد يتعرض الشباب الجامعي لمشاكل وأزمات بصورة مغايرة لما يعاني منها الآخرون.

كذلك قد يعاني الجميع – بلا تفرقة بين المثقفين وغيرهم – من مشاكل تعمهم، كاصطدامهم بمظاهر التأخر في المجتمع، وتعرضهم لأزمات خانقة كالمغالاة في المهور والتشدد في أمور الزواج، وتعرض الشباب للفتن المقدمة له في أشكال مختلفة كالأدب المكشوف وأفلام الجنس والجريمة.

وسنبدأ بعرض هذه المشاكل فيما يلي وهي تتمثل في:

أولاً: المشاكل الداخلية:

ل الشباب:

قلنا أن الشباب المثقف يتعرض لمشاكل وأزمات مغايرة لما يشكو منه غيره، وتعليل ذلك أنه يتعرض من خلال مناهج التعليم لحملة تغريبية منظمة سواء في العلوم الإنسانية أو العلوم العملية التجريبية، مما أثر في التكوين

(22) المودودي: تذكر دعاة الإسلام ص**101** وما بعدها. المكتب الإسلامي **1395**هـ .

النفسي والأخلاقي للشباب المسلم، إذ طرأت تغييرات مقصودة للانحراف به عن التصدرات الإسلامية الصحيحة.

والأدلة كثيرة في هذا الصدد نكتفي منها بالدور الذي أداه دنلوب في مصر، هذا الكاهن الذي (خلع عنه ثوب الكهنوت ودخل في خدمة الحكومة يدير مدارسها في خلال ربع قرن فكان يناهض القرآن مناهضة سرية متواصلة)[23].

ففي المدارس الابتدائية يكتفي بدروس دينية لا تحتل من البرنامج الدراسي إلا ساعات محدودة لا تؤثر إلا في حالات ضئيلة، ويكون تأثيرها غالبًا بفضل النماذج القليلة المخلصة من المدرسين.

ثم تأتي المرحلة الثانوية التي يفصل فيها أيضًا بين الدين والحياة ومناهج الدراسة، وربما تبتعد الشقة عنهما بالمقارنة بالمرحلة الابتدائية، فضلًا عن ظهور عامل جديد، إذ عندما يشب الطلاب عن طوق الطفولة والصبا، تتفتح آفاقهم عن أسئلة جديدة ملحة تتطلب إجابات حاسمة، ويبدأون في الخضوع لتأثير الأفكار والتيارات السائدة في المجتمع. أما الشباب الذي يتلقى تعليمه بالمدارس الأجنبية، فمشكلته أضخم، لأنهم ضحايا الغزو التبشيري الذي يستخدم هذه المدارس كأدوات طيعة لتنفيذ مخططاته.

وتتلقف الجامعات بعد ذلك بعض هؤلاء الطلاب، بكلياتها المختلفة، وهي تنقسم إلى كليات عملية وأخرى نظرية كما يسمونها، ففي الأولى تختفي فيها الدراسات الإسلامية، بل تتسم طابع دراساتها بطابع النظريات والفلسفات المادية في أغلبها، والتي تسربت إليها بسبب النقل من علماء الغرب. ويتحول الإسلام في الكليات النظرية – كالآداب والتربية والتجارة والحقوق – إلى فلسفة ونظريات ودراسة تاريخ الفرق والانشقاقات التي انتهى عصرها وزالت بزوال عوامل قيامها، ومن ثم تصبح الدراسة وفقًا لهذه المناهج أشد ضررًا من

---

(23) أوجين يونغ: الإسلام وآسيا أمام المطامع الأوروبية ص**157** .

عدمها، إذ أنها – في كليات الآداب مثلًا، تهز كيان الطالب وتشككه وتدفعه إلى كثير من التساؤلات فلا يجد إلا إجابات المستشرقين، ومن ثم تجتاح نفسه أعاصير الحيرة والاضطراب، وتنفذ إليها وجهات النظر الغربية فيعتنقها ويتقبلها.

وفي كليات الحقوق، تدرس الشريعة الإسلامية كمادة منفصلة ضمن القوانين المدنية والتجارية والجنائية المستمدة من التشريعات الوضعية والمنقولة من القوانين الأجنبية.

وفي كليات التجارة تحتل النظريات الاقتصادية والسياسية المكانة الأولى ولا يلتفت إلى دراسة الاقتصاد الإسلامي.

ل، أن نظم التعليم المستوردة والمنقولة بحذافيرها من جامعات الخارج قد أدخلت في أفكار الشباب وعقولهم الكثير مما يحتاجون إلى من يصححها لهم ويقومها في نفوسهم لأنها فصلت بينهم وبين الإسلام.

وقد أثمرت خطط التعليم ونجحت في تجريد الشباب (من الروح الديني والعواطف الإسلامية والعقلية الإسلامية وأنشأت فيه طبيعة النفعية والتهام الحياة وتقديس المادة وعدم الاستقامة الخلقية وضعف الثقة بالنفس والشك في الدين)[24].

ولا تحتمل طبيعة الشباب قبول الطعن والنقد فقط فيما تلقاه وتعلمه، بل لابد من إحلال البديل محله، وتشكل هذه المهمة أثقل التبعات على عاتق الداعية.

ولكن مما يسهل مهمته معرفة الرابطة الوثيقة بين الأسس الفلسفية المشتركة للثقافة الغربية وبين جميع العلوم النظرية الإنسانية التي انبثقت منها جميع الأنظمة الاجتماعية من أسرية واقتصادية وسياسية وغيرها، فإذا قوض الدعامة الأساسية بالشرح والتحليل، انقض البناء وتهاوى، وهي ليست في

(24) روائع إقبال لأبي الحسن الندوي ص**108** . دار القلم – الكويت **1388**هـ/**1968**م.

حقيقتها سوى المفاهيم والمذاهب التي حرفت مفهوم الرسالة السماوية وجاء القرآن ليصححها، كل ما هنالك أنها استطاعت في العصر الحاضر أن تلبس لباس العلم والفلسفة، وأن تقيم باطلها على أساليب براقة خادعة في عالم اضطربت مقاييسه ونظمه[1] على أن هناك مسئولية أخرى يتحملها رجال التربية التربية والتعليم وأساتذة الجامعات لوضع المناهج المنبثقة من عقيدتنا وتراثنا وقيمنا، لتأصيل شخصيتنا الإسلامية، وتعويض ما فاتنا بسبب المناهج المستوردة.

:

يطول بنا الحديث باستقصاء عوامل الضعف والتخلف التي تعاني منها المجتمعات الإسلامية ولكن إيجازها في نقاط رئيسية ضروري لتحليل أحد المظاهر التي تشكل عبئًا على كواهل الشباب، إذ تتفتح آماله المستقبلة على رؤية أمته في مقدمة الصفوف، وينظر حوله فيرى الواقع مثبطًا للهمم!!

فكم من شاب غض مليء بالحماس والحيوية، أقدم على عمل مثمر فاصطدم بالفتور أو سوء المعاملة أو المفاسد الاجتماعية، فأقعده ذلك عن إعادة الكرة؟!

وحتى لا يتكرر مثل هذا النموذج، فإن معرفة الأسباب وتحليلها عن طريق الإقناع بهدوء، قد يكفل امتصاص الصدمة بين آمال الشباب المسلم، وواقع مجتمعاته المؤلم.

ولا تخرج الأبحاث الدائرة حول عوامل الضعف والتخلف في المجتمعات الإسلامية عن اتجاهين:

ل: التعليل بالأسباب الذاتية للمسلمين أنفسهم مثل ضعف العقيدة وخور العزيمة، وسوء الفهم لمسألة القضاء والقدر الذي أدى إلى جبرية محضة،

---

(1) أنور الجندي: مشكلات الفكر المعاصر في ضوء الإسلام ص**16** .

والانصراف عن العلوم العصرية المؤدية إلى التمدين والحياة الكريمة، وفساد الأخلاق وتدليس العلماء وجور الحكام.

كل هذا أو بعضه أدى إلى انهيار الأمة في العصر الحديث عندما صدمتها الحضارة الغربية، في عهدها الاستعماري، وليس من سنة الله (أن تقتل أمة امتلأت إرادتها بأن تحيى، فالمسلمون مسئولون بالدرجة الأولى عما آلوا إليه)[1].

: إلقاء التبعة على الاستعمار الخارجي والحروب المتوالية التي لم تترك الأمة تهدأ فترة لتلتقط أنفاسها، بل أخذت تكر وتفر منذ الحروب الصليبية حتى العصر الحديث، فقد كانت دولة الإسلام بكيانها البشري الهائل وحدودها الجغرافية الشاسعة المشتركة بين آسيا وأفريقيا وأوربا – هذه الدولة كانت أمرًا واقعًا يؤثر في العالم كله، ولم يسقط هذا البناء الضخم إلا بعد حروب وفتن متواصلة ظلت قرونًا، فظل يتقلص إلى أن تفكك بإلغاء الخلافة منذ حوالي نصف قرن فقط.

ولولا هذه الحروب والحملات الضارية التي استنفدت قوى الأمة الإسلامية وشتت جهودها وأضعفت كيانها، لولا هذه العوامل الخارجية التي لا سلطان لدول الإسلام عليها، لما وقعت في براثن التخلف.

ويبدأ العلاج بقيام الدعاة بتوجيه الأنظار إلى أن أسباب التخلف الحالية ليست بنت الساعة، ولكنها تولدت من توالي المحن وتراكم الخطوب بعضها فوق بعض.

وإذا كان من غير المتصور أن يشفى المريض بجرعة دواء واحدة، كذلك لا يتصور علاج الأمم بإجراء واحد خاطف، لاسيما أن أعمار الأمم لا تقاس بالسنين والشهور، ولذا فإن حل الأزمات الحالية يحتاج إلى مثابرة وجهود

---

(1) أنور الجندي: يقظة الفكر ص325 .

متواصلة جيلًا بعد جيل، فالمهم أن نبدأ البداية الصحيحة ولنا مقوماتنا الذاتية، فإن أصولنا التي يعبر عنها القرآن والسنة ثابتة لم تمسها يد التبديل والتحريف بواسطة البشر كما حدث لغيرنا من الأمم، ولكننا نحن الذين تغيرنا.

ويقع على عاتقنا إقناع الشباب المسلم أن التغيير الشامل أمر ممكن، ولكن يبدأ بخطوة تتلوها خطوات على نفس الطريق، فلنبدأ بأنفسنا وبمن حولنا، نتسلح بالعقيدة الصحيحة ونغير ما بأنفسنا إلى الأحسن بالعلم والعمل، كليهما، وعندئذ يغير الله تعالى أحوالنا، فإن (تحقق التغيير الذي يقوم به القوم – في الآية الكريمة – سيتم على أساس وعد الله تعالى الذي لا يخلف الميعاد وسنته التي لن تجد لها تحويلًا)[1].

فليبذل كل شاب مسلم – كل في مجاله – غاية جهده مخلصًا، مستعينًا بالله سبحانه، لا بغرض التميز واحتلال الصفوف الأولى لكي يشار إليه بالبنان، ولكن لكي يصبح نموذجًا وقدوة لغيره من الشباب، فيصبح كالعنصر المشع يجذب من حوله بتفوقه ونجاحه، فكثيرًا ما يصدر الناس حكمهم على الأفكار والعقائد من خلال أصحابها.

ويقتضي التغيير إعادة النظر في أسلوب حياتنا وطرق معيشتنا لنعدلها تدريجيًّا حتى تستوي قائمة مع قواعد الإسلام، والتعديل أمر ممكن ويسهل تحقيقه إذا حددنا الهدف من الحياة الدنيا اتجاهًا إلى خالقها عز وجل، عبادة وعملًا، في النية والسلوك، ومعرفة المهمة التي نيطت بهذه الأمة كحاملة رسالة هداية للإنسانية كلها، ولاشك أن الالتزام بالإسلام بواسطة القاعدة العريضة من الشباب سيسهم في تهيئة الأذهان للشعوب الإسلامية والحكومات – كليهما – ويمثل عنصرًا ضاغطًا على المحجمين والمترددين، بعد افتضاح الجاهلية بشتى نظمها ومذاهبها.

---

(1) جودت سعيد: حتى يغيروا ما بأنفسهم ص**69**. (بحث في سنن تغيير النفس والمجتمع) ط**1395**هـ - **1975**م .

عها:

يحلو للبعض وصف العصر الحديث بأنه عصر العلم والتكنولوجيا، فيقتصرون على المظهر دون المخبر، ولو عنينا بالمخبر لوصفناه أيضًا بأنه عصر الفسق والانحلال، ويؤيدنا في ذلك منطق الاستقراء حيث تجمعت الأدلة على شيوع الفحشاء والمنكر في المجتمعات الخارجية – شرقية وغربية – ولم تقتصر على عامة الناس بل وصلت إلى رؤساء الدول والحكومات، وأصبح العالم منذ سنوات غارقًا في موجات الجنس (بل أضحت ممارسته والإغراق فيه غاية الحياة وقمة الأمنيات لدى كثير من الناس)[1].

وانتقلت العدوى إلى العالم الإسلامي – وإن لم يبلغ بعد مرحلة التردي التي بلغها غيره من دول العالم – فرأينا بعض أصحاب الأقلام يتنافسون في إصدار كتب الجنس وإغراء الشباب باسم الأدب والفن، وعمت البلوى بالصور العارية بالصحف والمجلات، وانتشر الغناء بما يحمله من ألفاظ فاحشة مكشوفة تهتك أستار الحياء وتدعو إلى الإثم، وتجتمع هذه الفواحش كلها في أفلام السينما التي تحطم معنويات الشباب بدعوتها الصريحة للعنف والجريمة والجنس، وتكاد تحذو حذوها أو تنافسها أجهزة الإذاعة المرئية (التليفزيون)، حتى عمت البلوى وزادت الشكوى مما يعانيه الناس – لاسيما الشباب – من هذه الأخطار.

وارتفعت الأصوات المخلصة منذرة ومحذرة، وحسبنا في هذا الصدد الإشارة إلى بعض التحذيرات الصادرة من المجتمعات التي تفشى فيها هذا الداء الوبيل، فها هو كنيدي يصرح عام **1972**م بأن مستقبل أمريكا في خطر لأن شبابها مائع منحل غارق في الشهوات، وأنه من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين، لأن الشهوات التي أغرقوا فيها

---

(1) فتحي يكن: الإسلام والجنس ص**10** ط مؤسسة الرسالة **93**هـ - **92**م .

أفسدت لياقتهم الطبية والنفسية)[1].

ويلفت المؤرخ أرنولد توينبي النظر إلى أن سيطرة الجنس يمكن أن تؤدي إلى تدهور الحضارات[2].

شباب العالم؟

ما من شك أن هناك واجبات تقع على عاتق المسئولين في الدول الإسلامية لحل مشاكل الشباب التي تنفذ إليه من أبواب الفتن، وعليهم تنقية وسائل النشر من صحافة وإذاعة وتليفزيون من الصورة العارية والأغنية المتهتكة والإثارات الجنسية الصارخة مع الاقتصار على إذاعة ونشر ما يفيد من برامج تثقيفية ولا بأس من الترفيه في حدود الآداب الإسلامية والمحافظة على كيان الأسرة والمجتمع، وأن واقعنا وتاريخنا مليء بالمواد الملهمة لأعمال أدبية وفنية ذات أهداف بناءة.

وإلى أن يتم ذلك كله فليس أمامنا من حديث نوجهه إلى الجيل الجديد، إلا تنفيذ توصيات الرسول ﷺ في أن يغتنم الشباب شبابه فيما ينفعه وينفع أمته، في إطار من تقوى الله تعالى ائتمارًا وازدجارًا فيصرف وقته في العمل وطلب العلم: فسواء كانوا من طلاب العلم أو العاملين في الوظائف أو الأعمال التجارية، فإن لكلا الفئتين وقت فراغ، فعليهم بتكوين الجمعيات الثقافية والرياضية الهادفة، وليكن من أغراضها المساهمة في تعليم الأميين والتطوع في أعمال الخدمات العامة، والاستزادة من الدراسة في بعض العلوم والعكوف على القراءة المنتظمة، وغير ذلك من ميادين النشاط التي تمتص طاقات الشباب فيما يعود عليه بالنفع[3].

ويوصي الرسول ﷺ الشبان بالزواج وفي حالة تعذره أو تعسره عليهم

---

(1) فتحي يكن: الإسلام والجنس ص**15**.

(2) (نفس المصدر = ن.م) ص**10**، **49** .

(3) أحمد محمد جمال: من أجل الشباب ص**60** .

بالصوم ليخفف عنهم إلحاح العاطفة ويلطف فيهم فورة الشبيبة[1].

وينبغي في هذا الصدد أن يتكاتف أولو الأمر لإيجاد حلول لمشكلات الزواج للتيسير على الشباب وهي مشكلات ناجمة عن تقاليد وعادات تخالف روح الإسلام وتعاليمه السمحة وتسهم في دفع الشباب لسلوك السبل المعوجة[2].

ولا مناص من توجيه الشباب للابتعاد عن كل ما يثيره من الكتب أو المجلات أو الاستماع للأغاني أو مشاهدة الإذاعة المرئية ودور العرض السينمائي، وكفاه ما يعانيه من دواعي الفتن في المجتمعات.

ن:

حفلت المجتمعات الإسلامية بمظاهر البدع الطارئة على عقيدة الإسلام، وأصبحت من الحجب التي تمنع رؤية الشباب للإسلام كما ورد في الكتاب والسنة، إذ يلتبس على الشباب التفرقة بين ما يراه فاشيًا في مجتمعاته، وبين الحقيقة الأصلية للخافية عليه، فإنه يرقب الموالد وما يدور فيها من منكرات باسم الدين، ويلحظ أغلب الناس يلجأون إلى المقابر والأضرحة للاستغاثة وطلب العون وقضاء الحاجات، يلحظ كل هذا ويستنكره، وتستبد به الحيرة عندما يرى بعض العلماء لا يحركون ساكنًا إزاء الانحرافات والبدع بل يؤيدونها ويشاركون فيها مدافعين عنها.

وتقف هذه المظاهر سدًّا حائلًا بين الشباب ومعرفة الإسلام، كما تصد المثقفين منهم خاصة عن الإقبال على الإسلام ظنًّا منهم أن ما اعتادوا رؤيته في بيئاتهم يتصل بكيان الإسلام العقدي والأخلاقي.

ولا يتنبه الكثيرون إلى أن كل هذه الانحرافات لا صلة لها بالإسلام، بل

---

(1) ن . م ص**48** .

(2) ينظر قرارات مجلس المنظمات والجمعيات الإسلامية في الأردن لحل مشكلات الزواج (نشرت بمجلة البلاغ الكويتية العدد **377** ذو القعدة **96**هـ - **76**م ص**60**، **61** .

جاء الإسلام لإبطالها لما تتضمنه من عقائد الشرك والوثنية، وقد أدت بجماهير المسلمين إلى التشبه بالنصارى.

ويرى عالم نصراني معاصر (ونحن نستشهد به بحكم معرفته بأحوال قومه أيضًا) أن الإسلام علقت به من الخرافات أكثر مما علق بأدنى أشكال العبادة في المذاهب الكاثوليكية والبيزنطية، على أن هذا لا صلة له بالإسلام نفسه (ولكنه راجع إلى حقيقة هي أن أفراد الطبقات الدنيا من عوام المسلمين هم نسبيًّا أكثر عددًا وأشد تأخرًا وأقل تثقيفًا من جماهير العامة في إيطاليا وإسبانيا مثلًا)[1].

: أي الإسلام في مصدريه: القرآن الحكيم والسنة، وبين ما تقع عليه أعينهم من أنواع السلوك والتصرفات المنافية لعقيدة التوحيد؟

وربما تزداد الشقة بين الشباب إذا ما حاول تطبيق ما تعلمه من الإسلام عقيدة وعبادة، أو أعلن اعتراضه على المخالفات التي تفشو بين الناس، عندئذ يقابل بنقد من بعض رجال العلم الديني. بحجة عدم التخصص في علوم الإسلام أو صغر السن أو غير ذلك من حجج غير مقبولة، لاسيما أن كثيرًا من الدعاة مازالوا يستمدون معارفهم من المصادر والمؤلفات في عصور المسلمين الأخيرة وهي المتسمة بالجمود والتعصب للمذاهب، ومن ثم يعجزون عن مخاطبة الشباب باللغة التي يفهمها، بعد أن تفتحت عقولهم عن معارف جديدة، وأقبلوا على تلقي الإسلام بفطرتهم بلا انحياز سابق لفرقة أو الانتماء لمذهب.

وليس على الدعاة إلا توجيه شباب المسلمين إلى الاتجاه السلفي النابع من الكتاب والسنة والذي صار على هديه الصحابة والتابعون ومن تبعهم، وتجدد

---

(1) د. جورج سارطون: الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط ص34 منشورات مكتبة المعارف بيروت 72/92هـ .

ظهوره في العصر الحديث على يد محمد بن عبدالوهاب في الجزيرة العربية، ثم أخذ يشتد وينتشر في باقي أنحاء العالم الإسلامي مع تسلح أصحابه بأدوات جديدة لشرح الإسلام ومواجهة ما طرأ على العالم من تغييرات، ومقابلة أسلحة الهجوم العدائية بما يفلها ويبطل مفعولها، مع طرح فلول البدع كلها جانبًا، سواء في العقيدة أو العبادات، أو السلوك.

افات بين المسلمين أنفسهم:

ونحن هنا أمام سبب آخر يبعث على البلبلة ويورث الحيرة أيضًا في صفوف الأجيال وتطاحنًا في داخل صفوف المسلمين أنفسهم، وربما كانت الاختلافات المذهبية الفقهية هي أخفها وطأة، إذا تمكن الدعاة من شرح أسبابها ونشأتها، وأنها بسبب اختلاف العلماء في الأحكام تبعًا لاحتمال معاني كثير من النصوص الشرعية واختلاف العقول في فهمها.

ولكن ينبغي التمييز بين اختلاف الفقهاء في العصور الأولى بما أداه إليه اجتهاداتهم، وبين أقوال المتأخرين في عصور الابتداع والتقليد.

ومع هذا فإن هذه المشكلة تعد أهون شأنًا من مظاهر التنابذ والتطاحن الأخرى بين المسلمين في البلد الواحد فتجد (صراعًا بين المذهبيين واللامذهبيين، وفي بلد ثان حربًا بين السلفيين والصوفية، وفي بلد آخر جدلًا بين الحنفيين وأهل الحديث.. إلى غير ذلك من الفرق والجماعات في حين أن اللادينيين يحاربونهم جميعًا، وإن تفاوت درجة الحرب طبعًا)[1].

ولا يعصمنا من كل هذا إلا العض بالنواجذ من جديد على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، مع الاسترشاد بفهم السلف للأصول والفروع جميعًا.

:

تكاتف العوامل الخارجية مع ما رأيناه من أسباب داخلية للوصول بنا إلى

---

(1) د. يوسف القرضاوي: حتمية الحل الإسلامي ص**356** .

ما نحن عليه الآن. وربما يوصف عصرنا الحاضر أحيانًا بأنه صراع (الأيديولوجيات) لأن مذاهب الفكر الإنساني – وتؤيدها القوى العسكرية – تتصارع وتحاول كل منها أن تثبت جدارتها فيما تدعيه من تحقيق حياة أفضل للبشرية، ولكن الحقيقة أنها تخفي الرغبة في السيطرة والتغلب على غيرها.

ومن جهة الإسلام، فقد أثبت القرآن الكريم هذا (التدافع) كسنة من سنن حياة المجتمعات البشرية في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:**40**].

وفي قوله عز وجل: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة:**251**].

كما حذرنا الله سبحانه وتعالى في آيات كثيرة من عداء اليهود والنصارى ومحاولاتهم الدائبة لإخراجنا عن ملتنا وإغرائنا بمتابعتهم، مثل: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة:**105**].

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة:**120**].

﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة:**135**].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران:**100**]. **وآيات أخرى أيضًا.**

فلن يدهشنا إذًا هذا الصراع واستمراره، ولكننا مطالبون بالتأهب واليقظة وأخذ العدة ما دمنا معرضون دائمًا للخطر الذي قد يصل إلى الرغبة في إبادتنا

وإزالتنا.

والكلمة الأخيرة استخدمها أحد جنود الغرب الاستعماري، إذ ما يسترعي الانتباه بعمق في تقارير لورانس السرية إلى المخابرات البريطانية، تأكيده الهستيري المحموم والمخطط بإجرام ودهاء على ضرورة إزالة ما يسميه (خطر الإسلام)[1].

نحن لا نأمل إذًا، والدعاة إلى الله كذلك، في توقف الصراع بين الأصيل والدخيل لأنه سنة من سنن الله العليم الحكيم، يضرب فيها الحق والباطل: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الرعد:17].

بل على العكس، نريد أن يظل التمييز واضحًا بين الاتجاه الإسلامي المحافظ والتيارات الوافدة من الخارج – شرقية وغربية – كي يظل حيًّا في نفوس الأجيال الصاعدة والتالية وهي أمانة تلقاها جيلنا عمن قبله[2].

ومن أهم واجبات الدعاة المعاونة على نقل هذه الأمانة بعد المحافظة عليها وسط هذا الهجوم الذي أخذ شكل جديد.

وقد أصبح عنوان (الغزو الثقافي)[3] اصطلاحًا يطلق على الأساليب التي

---

(1) زهدي الفاتح: لورانس العرب، على خطى هرتزل (تقارير لورانس السرية) دار النفائس – بيروت 1390هـ - 1971م.

(2) د. محمد حسين: الإسلام والحضارة الغربية ص118 .

(3) الأساليب التي استخدمتها الحضارة الأوروبية بشقيها الرأسمالي والشيوعي – بالتعاون مع اليهود، لتبديل وتغيير المبادئ والقيم الثقافية والفكرية والاجتماعية والأخلاقية للمجتمعات الإسلامية.

ويحددها الأستاذ الدكتور محمد رشاد سالم في الوسائل الآتية:

1- التنصير أو التبشير. =

= 2- إشاعة فكرة القومية.

3- محاربة اللغة العربية.

4- تغيير نظم التعليم.

اتبعها العالم الأوروبي – بشقيه الشرقي والغربي – بهدف مسخ الشخصية الإسلامية من الداخل، وتشويه العقيدة، وإبعاد المسلمين عن الإسلام وصبغ حياتهم فرادى وجماعات بالصبغة الأجنبية أيًّا كان لونها، ومن ثم يسهل القضاء على الذاتية المميزة لشخصية المسلم، دون حاجة إلى جيوش عسكرية مدججة بالسلاح فهناك جيوش أخرى تظهر في ثوب الحمل الوديع، لجأ إليها الاستعمار لاستخدامها دون أن يظهر بمظهر الغازي الفاتح، أو المعتدي المغتصب ونعني بذلك جماعات المستشرقين والمبشرين ودعاة التجديد والتغريب ومن سار على مناهجهم، فقد خططوا ونفذوا أساليب الغزو الثقافي بدقة وبراعة وها نحن نجني ثمارها المُرَّة.

ولكن، من دواعي اطمئنان الداعية أنه سيعثر على أعمال علمية كثيرة في الفكر الإسلامي المعاصر عالجت موضوع الغزو الثقافي وكشفت النقاب عن طرقه وأهدافه، وتعد في مجموعها سندًا له في تشخيص بعض أمراض المسلمين في وقتنا الحاضر.

وعليه بعد ذلك أن يستمر في الخطوة التالية، أي دراسة أثر حملات الغزو في نفوس الأجيال الجديدة التي استيقظت على واقعها المرير بأبعاده كلها: الهزائم العسكرية، التأخر الحضاري، ضعف الهمم وانتكاس الأخلاق.

؟

5- استخدام وسائل الإعلام من صحافة وغيرها.

6- الحرب العلمية والفكرية عن طريق المستشرقين وغيرهم.

7- إفساد الأخلاق وتغيير الحياة الاجتماعية.

8- تبديل القوانين والتشريعات.

ص21، 22 د. رشاد سالم: المدخل إلى الثقافة الإسلامية، دار القلم، الكويت وينظر أيضًا كتاب الأستاذ محمد محمود الصواف: المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام 1384هـ – ط. مكة المكرمة 1965م.

إننا نرى إرشاد الشباب إلى الموضوعات التي ينبغي تثقيفه بها، ويتعين عليه تحصين نفسه بالتسلح بمعرفتها – سواء الاستزادة من المعرفة الشخصية في الإسلام للتفقه في الدين وإرشاد الناس وتوعيتهم أو لمواجهة حملات الإلحاد والتشكيك التي تغزوه في عقر داره من خلال الكتب والصحف والمجلات والإذاعات المسموعة والمرئية، فإن غاية ما تهدف إليه الأبواق المعادية أن تهز ثقة الشباب المسلم بنفسه وتحطم معنوياته فيسهل عليها إضعاف إيمانه أي أغلى ما يملكه الشباب، وهو الأمل المرتجى لهذه الأمة، فإذا أفلت من مكائد الخصوم وحيلهم، فإن انتصارنا بمشيئة الله مؤكد. فإن علاج الحيرة والتشتت يتم بالمعرفة الصحيحة، وفتح باب الأمل يتم باستثارة في النفس، ونور الحق يبدد ظلام الشك والإلحاد.

وتشكل هذه السبل علاجًا لآثار الغزو الثقافي تبدأ بتوضيح الإسلام كعقيدة ونظام إلهي بأسلوب جديد يضاهي الأساليب المعاصرة ويخاطب عقول الشباب بالأدلة ليثبت تفوق الإسلام على سائر الفلسفات والأنظمة البشرية لاسيما في تفسير عالم الغيب وتقديم الإجابة عن الأسئلة التي تثار دائمًا في الأذهان عن خلق الإنسان والحكمة من خلقه ووجوده، لتحصين الشباب بدروع الاعتقاد والمعرفة الإسلامية الراسخة، وإلا فإنه قد يخضع لبعض المذاهب والاتجاهات الفلسفية والأعمال الأدبية الوافدة من الخارج وتحمل في طياتها بذور الاستهتار بالقيم والمبادئ، ويخشى على الشباب المسلم من إيحاءاتها الضارة[4].

:

ويتضح ذلك بأدنى نظر إذا استخدمنا المنهج المقارن بين الإسلام كعقيدة وتشريع إلهي، وبين النظريات السائدة على وجه الأرض اليوم فمنها المادية

---

(4) من تقرير الدكتور محمد خلف الله أحمد إلى مؤتمر المسلمين في مارس **1970** وهو يعدد أسباب الانحراف الفكري عند الشباب.

التي تنظر للعالم نظرة مادية وتضع الإنسان في قائمة الحيوان والأحجار. وبغير التوسع في شجب الأصل الفلسفي للمادية إذ يكفي لبيان تهافتها فشل أشهر روادها في العصر الحديث – وهو كارل ماركس – الذي ربط تفكيره الفلسفي بأوضاع القرن التاسع عشر الاقتصادية والاجتماعية، ولهذا فقد أخفقت النظرية في أن تتجاوز هذه الأوضاع، وعجزت عن علاج مشاكل القرن العشرين[5].

وإذا نظرنا إلى الوجه الآخر للحضارة العصرية في غرب أوروبا وأمريكا لاحظنا مع غيرنا أنه كلما زاد الرخاء المادي وبدا العلم متقدمًا محققًا المعجزات في دولة، زاد فيها عدد الجرائم وعلى سبيل المثال ففي إحصائية حديثة بالسويد ظهر أن 25% من السكان يعانون من أمراض، عصبية ونفسية، وأن 30% من النفقات الطبية مخصصة لعلاج هذه الأمراض، وأن نسبة حالات الانتحار بين الشباب تزداد، ويعقب المراقبون على هذه الإحصائية بقولهم: إنها تدعو إلى الذهول لأن السويد تعتبر من أغنى أربع دول في العالم[6].

ومنها الفلسفة العملية أو البراجماتزم التي تقيس الحقيقة بمدى النفع الذي يعود على الناس منها، فأعادت للأذهان الفلسفة السوفسطائية في عهد قدماء اليونان.

ومنها الوجودية التي تجعل من الحياة الإنسانية عبثًا عقيمًا وقضية خاسرة فلا تهتدي بهدى الأخلاق المقررة أو أصول الآداب المتواضع عليها، فتغرس في الإنسان اليأس والتشاؤم، وليس ثمة عدو أقسى للنفس الإنسانية من

---

(5) ينظر (الإسلام والمذاهب الفكرية) بالباب الثاني من هذا الكتاب. د. البهي: تهافت الفكر المادي ص34، 35.

(6) فتحي رضوان: الإسلام ومشكلات الفكر ص112 .

اليأس[7].

في النفس:

إن الاستقراء التاريخي يوضح لنا أن الصلة وثيقة بين حضارتنا والإسلام، ويظهر ذلك بصفة خاصة في مناسبات تاريخية ثلاثة، هي: حروب المغول والغزو الصليبي والاستعمار الصهيوني الاستيطاني الحالي، فعندما نسي المسلمون ما لأجله غادروا جزيرتهم – أي إخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده – وأفسدوا في الأرض بعد إصلاحها – بعث الله عليهم عبادًا له أولي بأس شديد، أي سلط عليهم الصليبيين والتتار.

ويتضح لمن يطلع على أحداث التاريخ، ومشاهدات هذا العصر – وما حرب فلسطين منا ببعيد – يتضح له أن المد والجذر في تاريخ الإسلام تابعان لمدى قوة الإيمان وضعفه[8].

وما يلاحظ من ضعف المسلمين الحالي وتأخرهم فإنه يرجع إليهم لا إلى الإسلام.

هذا فيما يتصل بتحقيق التقدم والقوة للمسلمين. أما الجانب الثاني الذي يتضح لنا من السياق التاريخي لحضارتنا الإسلامية، فإنه يظهر في النهضة العلمية والعمرانية، فإذا قارنَّا الإسلام بمختلف ديانات العالم، عرفنا أن عقائدنا منعت معتنقيها من التقدم الحضاري عندما استمسكوا بها. ودون الغض من أية ديانة، فإن دارس التاريخ يلاحظ أن أهل أوروبا والبوذيين في اليابان على سبيل المثال، لما كانوا راسخين في معتقداتهم الدينية، كانوا على أسوأ ما يكون من أدوار التخلف ولما أحرزوا لأنفسهم الرقي والتقدم في حياتهم العلمية والعقلية والمادية، ما عادوا مؤمنين بمعتقداتهم المسيحية والبوذية إلا

---

(7) العقاد: أفيون الشعوب، المذاهب الهدامة ص**103**، **104** دار الاعتصام **1975**م.

(8) أبوالحسن الندوي: المد والجزر والمد في تاريخ المسلمين ص**14**.

اسمًا[9].

أما المسلمون، فعندما كانوا أقوياء في إيمانهم بمعتقداتهم صاروا أكثر أمم الأرض تقدمًا وازدهارًا وقوة ومجدًا، وما أن دب دبيب الضعف في إيمانهم بها حتى تخلفوا في ميادين العلم وضعفوا في صراعهم للرقي الدنيوي، وتحكمت فيهم واستولت عليهم أمم أجنبية.

وهذا فرق عظيم بين معتقدات الإسلام ومعتقدات الديانات الأخرى في العالم[10].

ك:

يقابل الدعاة كثيرًا من الأفكار التي تراود بعض الشباب بتأثير أفكار مضللة باسم الفكر الفلسفي أو النظر العلمي، فتوقع في نفوسهم وساوس التشكيك بواسطة دعاة الإلحاد وغيرهم.

ومثل هذه الشكوك لا تلبث أن تزول إذا ما جوبهت بما يدحضها باتخاذ أساليب الحوار العقلي وتقديم البراهين، فالإسلام يزدهر (وبراهينه تتألق من الحوار العقلي الحر.. ولم يهزم الإسلام أبدًا في مناقشة حرة)[11].

ومن واجب الدعاة إزاء تخرصات مدعي العلم، توجيه الشباب إلى الموقف العلمي الحديث، بعد ظهور الاكتشافات العلمية، والتقدم المذهل في مجال العلوم المتعددة، فبعد أن كان العلم يدعي معرفة الحقيقة الكلية، أصبح الآن متواضعًا يعرف قدر نفسه، فإنه يعني في كشف العلاقات العلية الثابتة بين الظواهر بعضها والبعض الآخر، منصرفًا عن التفسير والتحليل لأنه فوق طاقته[12].

---

(9) المودودي: الحضارة الإسلامية، أسسها ومبادؤها ص**98/97** .

(10) أبو الاعلى المودودي: الحضارة الإسلامية، أسسها ومبادؤها ص**97**، **98** .

(11) د. عبدالمنعم خفاجي: ص**83** حوار مع الشيوعيين في السجن .

(12) العقاد: عقائد المفكرين في القرن العشرين ص**35** .

وأعلن كثير من علماء العصر الحاضر – كل في مجال بحثه – أن جهودهم العلمية عززت الإيمان في نفوسهم، فوقفوا مبهورين أمام قدرة الخالق جل شأنه وبدائع صنعه من دقيقها وصغيرها كالديدان والحشرات إلى أكبرها وأعظمها كالكواكب السيارة من الشمس والقمر والأفلاك السابحة في الفضاء.

وعلى العكس فإن المنكر في القرن العشرين لا يستطيع أن يستند إلى أسباب من العلم يسلمها المفكرون[13].

وكل ما نريده الآن هو إقامة علم توحيد أساسه طريقة العلم الحديث وتقنياته بدلًا من علم الكلام الموروث عن الفرق الإسلامية التي عالجت مشاكل لم تعد موجودة في هذا الزمن، وفي مؤلفات العلماء المسلمين المعاصرين معين كبير للإسهام في هذا العمل، ولا بأس من استخدام بعض كتب العلماء من غير المسلمين الذين استخدموا أبحاثهم العلمية لتثبيت الإيمان بالله في النفوس[14] ويا حبذا لو ساهم الدعاة من ذوي التخصص في العلوم التجريبية والعملية بمؤلفاتهم وكذلك الحال في مواجهة الآراء الفلسفية.

فإذا كانت الفلسفة السائدة الآن في العالم بتصوراتها عن الوجود والحياة ما هي إلا تخيلات لأصحابها بلا حجة أو دليل، فقد أصبح من الضروري تقديم البديل بإظهار الحقائق الإسلامية في مسائل الألوهية والخلق والبعث وسائر عالم الغيب، بالإضافة إلى الحديث عن الإنسان ومكانته في الوجود ودوره وقيمه.

ولاشك أن الداعية سيعثر على درر ثمينة لو غاص في أعماق الكتاب

---

(13) ن.م ص**36** .

(14) نذكر من النوع الأول: د. محمد أحمد الغمراوي د. الفندي ووحيد الدين خان ونعني من مؤلفات غير المسلمين (الإنسان ذلك المجهول – كارليل) الكون الغامض العلم للإيمان وغيرها.

الكريم وعاش مع السنة النبوية، ونوصي في هذا الصدد باتباع المنهج المقارن، فبعد استخلاص الحقائق المستمدة من مصادرها، يمكن مقارنتها بتصورات الفلاسفة أو الأفكار الدينية الأخرى، وبذلك يظهر سمو العقيدة الإسلامية على سائر العقائد وألوان الفكر الفلسفي.

من الكتاب.